مجلة جامعة الملك سعود، م ٥، الآداب (٢)، ص ص ٧٣٥-٧٦٠ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

مقومات الحركات القيمية كما بينها سملزر Smelser مع إيضاحات لها من حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. حددت هذه الورقة ثلاثة أهداف رئيسة تسعى إلى تحقيقها؛ يتمثل الهدف الأول في بيان وشرح المحددات البنائية الضرورية للحركات القيمية كما بينها Smelser. وهذه المحددات البنائية بينت كالتالي: تيسير بنائي، توتر بنائي، نمو معتقد عام وانتشاره، العوامل المسرعة، التعبئة المنظمة وتعامل الضبط الاجتماعي مع السلوك الجمعي وتأثيره عليه من احتواء أو كبت له. كما شرحت هذه المحددات نظريًا واستعين بشواهد لهذه المحددات من حركة الشيخ ابن عبدالوهاب.

أما الهدف الثاني فتمثل في بيان المستويات المختلفة لمكونات الفعل الاجتماعي الأربعة: القيم، المعايير، التعبئة المنظمة، والتسهيلات. وقد أوضح هذا القسم من الورقة أنواع الحركات الاجتماعية المحتملة والتفاوت فيما بينها على ضوء أهمية مكونات الفعل من ناحية وأهمية المستويات المختلفة لكل واحد من هذه المكونات للفعل من ناحية أخرى. وقد استعين بحركة الشيخ ابن عبدالوهاب للتوضيح وإبراز فائدة منظور العالم Smelser في تحليل وفهم الواقع الاجتماعي في نجد.

وتمثل الهدف الثالث في بيان أهمية التوتر والمعتقد العام للحركات الاجتماعية. وقد تم إيضاح مصادر التوتر كما بينها Smelser من الجانب النظري. ولإيضاح هذا الجانب النظري، فقد استعين بما ساد منطقة نجد من توتر إبّان وقبل قيام حركة الشيخ ابن عبدالوهاب. كما تم إيضاح أنواع المعتقد العام لكل من مكونات الفعل الاجتماعي وتأثيرها التراكمي على مسيرة الحركة الاجتماعية. وقد بينا في هذا الجزء من الورقة المعتقد السلبي والمعتقد البديل لكل من مكونات الفعل كما يراها الحركيون.

وخلاصة القول إن ما قدمه سملزر من تنظير للسلوك الجمعي — وليس الحركات الاجتماعية إلا نوعًا منه — إسهام كبير في دراسة التغير الاجتماعي. فهو يتصف بالحياد الثقافي، بمعنى أنه عندما وضع القيم في قمة هرم مكونات الفعل، لم يحدد محتوى أو انتماء هذه القيم (وغيرها من المكونات الأخرى) إلى ثقافة معينة، مما يَسّر الاستعانة بنموذجه في فهم حركة الشيخ ابن عبدالوهاب بمحتواها الثقافي والديني المغاير لمحتوى ثقافة Smelser ودياناته. وإضافة إلى ذلك، اعتنى منظور سملزر بالقوى الداخلية في المجتمع كمصدر للتغير والرجوع إلى هذه القوى لإيجاد حلول مناسبة لكثير مما يعانيه المجتمع ليعود توازنه وتكامل القوى داخله.

مقدمة

تشهد مجتمعات العالم العربي والإسلامي نهضة اجتماعية واقتصادية وثقافية نتيجة الجهود المبذولة لرفع مستويات الدخل والتعليم والتحضر لهذه المجتمعات. ومع ذلك فإن هذه المجتمعات تعاني من تململ اجتماعي نلاحظه في انتشار الحركات المختلفة ـ دينية واجتماعية.[١] ويرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن ما يشهده المجتمع العربي والإسلامي من انتشار للحركات الاجتماعية إنما هو نتيجة واستمرار لانبهار هذه المجتمعات من تقدم عاشته أوربا بعد انفتاح هذه المجتمعات على القارة الأوربية في القرن التاسع عشر الميلادي.[٢] ويعزو بعض الباحثين هذه الحركات إلى مرحلة تاريخية أبعد من القرن التاسع

---

(١) لقد عقدت ندوات مختلفة خلال الثمانينات من هذا القرن لدراسة أسباب هذه الحركات وأبعادها في الشرق العربي. انظر: *الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي* (عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨م). كذلك *الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة الأمم المتحدة، ١٩٨٧م).

(٢) إبراهيم عثمان، «الفكر الديني السلفي والتنمية،» *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت، م٧، ع ٢٨ (خريف ١٩٨٧م)، ص ص ٢٠-٢١. كذلك انظر: عبدالله الغذامي، «الإنسان بوصفه لغة: مسئول المشكل الحضاري العربي،» محاضرة ألقيت في ندوة الثقافة بوصفها تعبيرًا التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد أدباء وكتاب الإمارات العربية المتحدة من ١٤-١٧ شوال ١٤١١هـ، ونشرت في جريدة *الرياض* عدد ٨٣٥٤، بتاريخ ٢٥/١٠/١٤١١هـ، ص ١٩٠.

عشر بل وتتعداه إلى المظاهر الفكرية لابن حنبل وابن تيمية وابن عبدالوهاب.[٣]

ومع أن الحركات الاجتماعية ظاهرة متكررة في المجتمعات الإنسانية، إلا أن تكرارها يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها هذه المجتمعات. وتعد حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي ولد عام ١١١٥هـ، من أبرز الحركات التي أثرت على المجتمعات العربية والإسلامية، وأبرز الحركات الاجتماعية التي شهدها مجتمع الجزيرة العربية وخاصة منطقة نجد.

ويعزو عبدالله[٤] وهويدي[٥] وغيرهما عوامل مختلفة تؤثر في وقتنا الحاضر بإذكاء هذه الحركات الاجتماعية، كقيام إسرائيل وما تمثله من تحد عقائدي وسياسي، إضافة إلى كونها ردة فعل للعلمانية وغيرها من تحديات الحضارة المعاصرة.[٦]

ونستخلص مما سبق أن هناك عوامل فردية وبنائية، داخلية وخارجية، هيأت الظروف المواتية لبروز الحركات الاجتماعية السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية.

لقد كانت الحركات الاجتماعية بصفة عامة موضوعًا خصبًا للدارسين الاجتماعيين. وقد صنف علماء الاجتماع الحركات الاجتماعية على ضوء معايير مختلفة،[٧] إلا أن عالم

---

(٣) إسماعيل صبري عبدالله، «الندوة التمهيدية لتحديد محاور بحث الصحوة الإسلامية،» في *الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الأمم المتحدة، ١٩٨٧م)، ص١٩. كذلك انظر: عثمان، «الفكر الديني،» ص٢٣.

(٤) عبدالله، «الندوة،» ص ص١٤-٢٣.

(٥) فهمي هويدي، «الصحوة الإسلامية والمواطنة والمساواة،» في *الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي* (عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨م)، ص٢٠٩.

(٦) عثمان، «الفكر الديني،» ص ص٢٥، ٢٧.

(٧) لقد استعمل Aberle معيارين لتصنيف الحركة الاجتماعية: الأول يتمثل في مقدار التغير وهل هو شامل أم جزئي؟ أما المعيار الثاني فيرتبط بمحور التغير، أو وحدته الأساسية، بمعنى هل التغير =

الاجتماع سملزر[٨] Smelser درسها من منظور فريد حيث ركز على «آليات التغير» والتي بواسطتها يتم التغيير، كما ركز على «القوى الاجتماعية» التي تدعو للتغير، وعلى «الجماعات» كصانعة للفعل الاجتماعي على ضوء قيم هذه الجماعات.[٩]

ويبدو أن منظور سملزر يتسم بالشمول والواقعية مما يجعله مفيدًا أكثر من غيره في شرح الحركات الاجتماعية في المجتمعات العربية والإسلامية. ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة والتي يمكن تحديد هدفها العام بشرح السلوك الجمعي من منظور سملزر والتركيز على النقاط التالية:

١ ـ بيان وتوضيح المحددات البنائية التي يجب توافرها قبل قيام الحركات الاجتماعية.
٢ ـ بيان وشرح مصفوفة المستويات المختلفة لمكونات الفعل أو السلوك الاجتماعي.
٣ ـ إبراز أهمية التوتر البنائي والمعتقد العام في تطور الحركات الاجتماعية مع بيان المستويات المختلفة لكل من التوتر البنائي والمعتقد العام.

وسيحاول الكاتب تحقيق هذه الأهداف المختلفة مستندًا إلى بعض ما كُتِب عن حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لتوضيح البعد النظري المجرد في منظور سملزر.

= المقصود بنائي أم أنه يأخذ الفرد كهدف خاص له؟ انظر: David Aberle, *The Peyote Religion among the Navaho* (Chicago: Aldine, 1966), pp 315-33. أما Turner و Killian فصنفا الحركات الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع: حركات ذات توجه قيمي، بمعنى أنها تسعى لتحقيق مبدأ، حركات أهدافها الوصول إلى السلطة، وحركات ذات هدف تعبيري. انظر: Ralph Turner and Lewis Killian, *Collective Behavior* (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1957), pp 327-29. أما عثمان فقد درسها من الناحية التاريخية، انظر: عثمان، «الفكر،» ص ص٧-٣٣.

(٨) Neil Smelser, *Theory of Collective Behavior* (New York: The Free Press, 1962).

(٩) انظر: Herman Strasser and Susan C. Randall, *An Introduction to Theories of Social Change* (London: Routledge and Kegan Paul, 1981), p. 96

السـلوك الجمعـي

سنعتمـد في دراستنـا للحـركات القيمية (اجتماعية ودينية) على آراء عالم الاجتماع سملزر N. Smelser والتي نشرها عام ١٩٦٢م في كتابة الموسوم بـ «نظرية السلوك الجمعي *Theory of Collective Behavior*»[١٠].

---

(١٠) لقد استند Smelser في نظريته «السلوك الجمعي» إلى منظور بارسونز للفعل الاجتماعي، والذي كان مهيمنًا على التنظير والتحليل الاجتماعي في الستينات وأوائل السبعينيات من هذا القرن الميلادي. ويرى بعض البـاحثـين الاجتماعيين الراديكاليين أن منظور بارسونز ذو توجه محافظ، بمعنى أنه بتركيزه على «البناء» لم يعط وزنًا لعمليات التغير، فمنظوره، لذلك، ليس إلا تكريسًا لـ status quo . ولذا يرى هؤلاء الباحثون أنه يجب النظر إلى الظواهر الاجتماعية من منظور العمليات والصراع بدلًا من النظر إليها من زاوية البناء كما فعل بارسونز.

الـواقـع أن اتهـام منـظور بارسونز بإغفال العمليات فيه إجحاف وعدم قراءة متأنية لما قدمه بارسونز، وقد لا يكون هذا الاتهام أكثر من موضة «مرحلة فيتنام» والتي اتسمت بنقد (the establish-ment) أي نقد كل شيء مؤسسي، ومن ضمن ذلك نظريات بارسونز التي يعتبر نقدها آنذاك موضة سياسية politically correct .

فالنظرة المتجردة والفاحصة «للفعل الاجتماعي» تبين أن بارسونز استند إلى البناء في شرحه لنظرية الفعل الاجتماعي، إلا أنه لم يغفل «العمليات» الاجتماعية. فالنسق الاجتماعي لا يمكن أن يبقى، ناهيك عن أن يتطور، دون الأخذ بما يحيط به وما يدور داخله من عمليات. ومن أجل هذه الحقيقة نرى بارسونز استخدم مصطلحات عدة لتعبر عن هذه العمليات، مثل التكيف adap-tation ، التـمايز differentiation ، وعمليات التنشئة الاجتماعية processes of socialization وغيرها (أنظر: Parsons, et al., *Working Papers in the Theory of Action* (Westport: Greenwood Press, 1981) ص ١٦٥.

من هنـا نرى أن بارسـونز اعتبر «البناء» و «العمليات» مكملة لبعضها وليستا بدائل عن بعضهما. وعلى أية حال، فإن لكل من المدخلين (البنائي والعمليات) مؤيدين أكاديميين كل يتناول الـظاهـرة الاجتـماعية من زاويتـه، وهـذا التنـاول المتعـدد سيثري التحليل الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية. وبما أن هذا البحث لا يهدف إلى مناقشة البناء والعمليات وما يدور حولهما من جدل، إلا أنني أردت من الشرح السابق الإحاطة بأن هناك مداخل نظرية أخرى — غيرما استند إليه سملزر - يمكن الاستعانة بها لدراسة الظواهر الاجتماعية كالحركات الدينية والاجتماعية. انظر مثلاً =

وقد اعتبر المؤلف الحركات القيمية بأنها أحد أنواع السلوك الجمعي . ويعرف السلوك الجمعي بأنـه «التعبئـة على ضوء معتقـد عام لإعادة صياغة الفعل الاجتماعي .»[١١] أما الحركات القيمية فعرّفها بأنها «محاولة جمعية لإحياء، وحماية، وتحوير أو خلق قيم باسم معتقد عام .»[١٢] ويتضح من تعريف السلوك الجمعي — والحركات القيمية كنوع من أنواعه — أن توترًا يكتنف المحيط الاجتماعي ، وأن الحركات الاجتماعية محاولة لإعادة صياغة الترتيبات الاجتماعية كشرط لإزالة التوتر، يستند في ذلك إلى معتقد عام يحدد مصدر الخلل . إضافة إلى ذلك، فإن المجهود المبذول لإعادة الترتيبات الاجتماعية يتطلب تعبئة وشحن الأفراد ومن ثم تنظيم مجهوداتهم .

ويحدد سملزر عدة خواص للسلوك الجمعي تميزه عن غيره من السلوك[١٣] :

١- أنـه غير موطن (لا مؤسسي) (uninstitutionalized) بمعنى أنـه خارج عن الشرعية الاجتماعية .

٢- أنـه اجتـماعي أكثـر من كونـه نفسيًّا، بمعنى أن مصـادره تكمن في الجوانب الاجتماعية أكثر من كونها نفسية .[١٤]

= كتاب : A. Touraine, *The Voice and the Eye: An Analysis of Social Movements* (New York: Cambridge University Press, 1981).

(١١) Smelser, p. 80.

(١٢) Ibid., p. 313.

(١٣) Ibid., p. 83.

(١٤) يختلف بعض الدارسين مع سملزر Smelser في هذه النقطة ويفسرون السلوك الجمعي على ضوء عوامل نفسية اجتماعية أو نفسية بحته . انظر : Herbert Blumer "Collective Behavior," in Lee, ed., *A New Outline of the Principles of Sociology* (New York: Killian and Turner and BarnesandNoble, 1964), pp.167-219. ؛ كذلك انظر : Killian and Turner .

٣ـ الحاجة إلى وجود توتر في البيئة تستلزم هذا النوع من السلوك.

٤ـ ضرورة وجود معتقد عام يستند إليه المشاركون لتفسير التوتر وتخفيف حدته كاعتقادهم بوجود «مؤامرة» عليهم أو وصمهم لمجتمع ما «بأنه كافر.» وعليه، فإن الترتيبات الاجتماعية وما تتطلبه من تعبئة لمجهودات المشاركين، تتم على ضوء المعتقد العام. ويُحدّد سملزر أربعة أنواع[١٥] من السلوك الجمعي هي الهستريا، والانفجارات والحركات المعيارية والحركات القيمية. ويضيف أن هذه الأنواع تترتب من حيث الأهمية والمحتوى على شكل هرمي، وتحتل الهستريا قاعدة الهرم تليها الانفجارات فالحركات المعيارية فالحركات القيمية حيث تحتل قمة الهرم. وهذا يعني أن الحركات القيمية أعمق أنواع السلوك الجمعي، وأكثرها شمولاً، فهي تحتوي على المستويات الثلاثة الأولى. ومن هنا فإن تحليل الحركات القيمية يقدم أكثر تصورات السلوك الجمعي شمولاً.

وتحدث الحركات القيمية — كغيرها من أنواع السلوك الجمعي — ضمن إطار اجتماعي معين تتوافر فيه المحددات الضرورية لحدوثه. سأحاول في الفقرات التالية عرض هذه المحددات كما بينها سملزر.

المحددات البنائية للحركات القيمية

يقول سملزر[١٦] إن السلوك الجمعي — وما الحركات القيمية إلا نوع منه — يحدث نتيجة مجموعة من العوامل المتفاعلة. كما أن تأثير هذه العوامل تراكمي بمعنى أن كل واحد منها يضيف إسهامًا لإحداث السلوك الجمعي، أي أن تأثير هذه العوامل يتم على أساس القيمة المضافة value added.

ويتطلب حدوث السلوك الجمعي أن تتوافر جميع المحددات له، بمعنى أن كل عامل ضروري إلا أنه ليس كافيًا لإحداث السلوك الجمعي. أما محددات السلوك الجمعي فهي:

---

(١٥) Smelser, p. 129.

(١٦) Ibid., pp. 15-22.

١ ـ التيسير (اليسر) البنائي Structural Conduciveness (١٧)

والتيسير البنائي يعني أن سمات بنائية في المجتمع تشجع على حدوث الحركات القيمية. ونرى مثل هذا التيسير في مجتمع الجزيرة العربية خصوصًا منطقة نجد إبان حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كان يتصف بالتفكك ويفتقر إلى التنظيم المركزي. فالعلاقة بين القبائل سيئة والتفكك السياسي سائد إلى درجة أن كل بلدة أصبحت كيانًا سياسيًّا مستقلًا بذاته. (١٨) علاوة على ذلك، فإن منطقة نجد كانت بعيدة عن أي سلطة مركزية، وفي هذا الصدد يذكر ابن عثيمين أن منطقة نجد أصبحت محاطة من أكثر جوانبها بمناطق خاضعة للعثمانيين. . . [إلا أنها] لم تشهد نفوذًا مباشرًا للعثمانيين قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذًا قويًّا يفرض وجوده على سير الأحداث داخلها لأية جهة كانت. (١٩) كل هذا يدل على أن أحوال منطقة نجد لم تكن مستقيمة بنائيًّا، ولا كانت في غير حاجة إلى إصلاح. (٢٠) وقد أدى ذلك إلى انتشار جو من عدم الأمن مما أفرز الحاجة إلى حركة اجتماعية تجمع شتاتها وترجع لها الأمن. ومن هنا كانت منطقة نجد مهيأة لقيام حركة الشيخ ابن عبدالوهاب. ويخلص ابن عثيمين (٢١) إلى أنه كان بإمكان أي حركة سياسية أن تقوم في نجد. وهذا يعني توافر التيسير البنائي الذي تحدث عنه سملزر. (٢٢)

---

(١٧) لقد حاول الكاتب أن يجد الترجمات العربية للمصطلحات الإنجليزية بناء على سياق معانيها في النص. ولذا قد تبدو الترجمات لبعض المصطلحات مغايرة لترجماتها الحرفية.

(١٨) عبدالله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، (الرياض: المؤلف، ١٤٠٤هـ)، جـ١، ص ص٤٦-٧٠.

(١٩) عبدالله صالح العثيمين، *الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره* (الرياض: دار العلوم، د. ت.)، ص ص١٠- ١١.

(٢٠) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص ص٢٥-٦٥.

(٢١) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٥٦.

(٢٢) Smelser, p. 17.

ومن الأمثلة المعاصرة للتيسير البنائي ما يعيشه لبنان من ضعف وتفكك نتيجة التناحر بين الطوائف الاثنية والدينية المختلفة والتي لكل منها مصالحها الخاصة، مما أعاق السلطة المركزية عن قيامها بحماية المصلحة العامة.

٢ ـ التوتر البنائي Structural Strain

ويعني التوتر البنائي تمايز المجتمع إلى فئات مختلفة يتبنى كل منها معايير تختلف عن المعايير السائدة في المجتمع. ونتيجة لهذا الاختلاف فإن الحكم على الأمور الاجتماعية يختلف تباعًا. وينتج من هذا الاختلاف شعور بعض الفئات بالحرمان النسبي، بمعنى أن بعض الفئات لا تشعر بحصولها على ما تعتقد أنها تستحقه من منافع. وقد يكون هذا الشعور بالحرمان حقيقيًا أو متصورًا، كما قد يكون متعلقًا بأمور مادية أو بأمور معنوية. وعلى أية حال، فإن الفئات التي تشعر بالحرمان النسبي تتعرض لنوع من الغبن من الترتيبات الاجتماعية السائدة.

وإذا أخذنا منطقة نجد قبل وإبان حركة الشيخ ابن عبدالوهاب، نجد أن التوتر البنائي يتمثّل في أمور مختلفة. الأمر الأول هو ما أدخل في الدين من خرافات وشرك، والتي انعكس مردودها السلبي على العبادات والمعاملات. وقد ألف الشيخ ابن عبدالوهاب كتابه *كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد* لتصحيح ما كان يزاوله الناس.[٢٣] الأمر الثاني أن القضاء كان يقوم على مقدرات المتخاصمين المالية، بمعنى أن المتخاصمين يقومون بدفع أجور القضاة.[٢٤] وهذا يعني أن غير المقتدرين لا يستطيعون أخذ حقوقهم من الغرماء، مما يؤدي إلى شعورهم بالغبن وبالتالي إلى التوتر البنائي. الأمر الثالث أنه لم يكن هناك معيار اجتماعي للوصول إلى السلطة في نجد. ومن ثم لجأ الراغبون في الإمارة إلى بسط نفوذهم بالقوة واغتيال منافسيهم.

---

(٢٣) العثيمين، *الشيخ*، ص ص٤١، ٧٣ـ ٧٤.

(٢٤) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٥٢.

وقد أدت هذه الأمور — ضمن أمور أخرى — إلى أن أصبح مجتمع نجد ميدانًا لمعايير اجتماعية مختلفة ومتضاربة، حيث افتقر إلى معيار عام تسير عليه الحياة الاجتماعية مما هيأ الظروف الاجتماعية لتنمية الشعور بالحرمان المادي والمعنوي لدى قطاعات مختلفة في المجتمع.

٣ ـ نمو معتقد عام (معمم) وانتشاره Growth and Spread of Generalized Belief

والذي يعني ظهور تعبير موجز ومقبول لتفسير التوترات الموجودة في المجتمع وتحديد مصادرها وأسبابها وبالتالي معالجتها.(٢٥) والمعتقد العام يكون أقرب إلى «المعتقد السحري» منه إلى تحليل منطقي لمصادر ومعالجة التوتر الاجتماعي. فبالإضافة إلى ما يقوم به من توحيد للقطاعات الاجتماعية المتضررة، فهو يعطي هذه القطاعات الاجتماعية «الأمل» بإزالة التوترات الاجتماعية لديها.

وبتطبيق فكرة المعتقد العام على منطقة نجد إبان حركة الشيخ ابن عبدالوهاب، نجد أن الشيخ ومؤيديه رصدوا ما وجد من توترات اجتماعية مثل التبرك بالقباب والاقتناع بأن الأولياء ينفعون ويضرّون، وغياب الأمن إلى غير ذلك من الممارسات التي تتم في مجتمع يعلن فيه أفراده بأنهم مسلمون. وكان من نتيجة ذلك أن الناس كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك.(٢٦) ورأت الحركة أن إصلاح المجتمع يتطلب إفراد الله بالعبادة ومحاربة الشرك وتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مجالات الحياة في ظل دولة قادرة على ذلك.(٢٧) وهذا هو

---

(٢٥) Smelser, p. 16.

(٢٦) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٥٣.

(٢٧) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٦٩. ومن الجدير ذكره هنا أن نواة الدولة الجديدة كانت موجودة في آل سعود حكام الدرعية والذين ناصروا الشيخ وكانوا من مريدي الدعوة قبل حلول الشيخ ابن عبدالوهاب في الدرعية. ومما لاشك فيه أن الدعم السياسي من إمارة الدرعية للشيخ ودعوته والمتمثل بإمكاناتها المادية والبشرية ونفوذها المتزايد عزز من مقدرات الحركة وتطلعاتها لإزالة التوترات السائدة، الديني منها والأمني. وترجم هذا التلاحم بين حكومة الدرعية والشيخ بأن يعمل الطرفان في سبيل الدعوة وإظهارها بكل المستطاع. انظر: ابن عثيمين، *الشيخ*، ص٥٥.

المعتقد العام الذي أتى به الشيخ ابن عبدالوهاب لتفسير التوتر في المجتمع ولإعطاء الأمل بإصلاح الأوضاع الاجتماعية في نجد.

وقد لجأت الحركة إلى وسائل مختلفة لبلورة هذا المعتقد العام وتوضيح الأمل بإصلاحه. فأرسلت الدعاة إلى المدن والقرى والتجمعات البدوية ونشرته في المساجد، وتمت مكاتبة بعض المشائخ والقيادات المحلية.(٢٨) إضافة إلى ذلك، فقد كتب الشيخ عدة كتب يوضح فيها المعتقد الذي يدعو إليه والممارسات التي يرفضها واعتبارها «جاهلية»، ومخالفة للشريعة الإسلامية. وقد أدى ذلك إلى إقناع قطاع من المجتمع بما دعت إليه الحركة من تشخيص للتوترات الاجتماعية والأمل في تقديم حلول لها.

٤ ـ العوامل المسرعة Precipitating Factors

والتي تعني إخراج المعتقد العام من حيز الوجدان إلى ميدان السلوك.(٢٩) وقد لا تكون العوامل المسرعة مهمة في حد ذاتها، إلا أنها تكتسب أهميتها في ظل المحددات السابقة كالمعتقد العام والتوتر البنائي. والعوامل المسرعة بذلك تكون كالقشة التي قصمت ظهر البعير.

وتظهر أهمية العوامل المسرعة بأنها مؤشر للمنتمين للحركة بأنها مقدمة على مرحلة جديدة أكبر من الدعوة والإرشاد، كما أنها مؤشر إلى معارضي الحركة بأنها مقدمة على مرحلة عملية. وقد يكون خير مثال على ذلك ما قام به الشيخ ابن عبدالوهاب ومناصروه من هدم القباب وبالذات تطبيقه لحد رجم زانية.(٣٠) وبهذا تكون الحركة قد خرجت إلى ميدان العمل. وهذا يوحّد المناصرين، ويساعد في تفتيت عزائم المناهضين لها.

---

(٢٨) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٨٨؛ كذلك انظر: إبراهيم بن عثمان الفارس، *أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب* (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٠هـ)، ص ص١١ـ٢٨.

(٢٩) Smelser, p. 352.

(٣٠) العثيمين، *تاريخ*، جـ١، ص٧١.

٥ ـ التعبئة والتنظيم Mobilization of Motivation into Organized Action

وتعني التعبئة إبراز سلبيات الترتيبات الحالية والتحفيز على قبول المعتقد العام وإيجابيات ما تدعو إليه الحركة. وتهدف هذه الخطوة إلى شحن الأفراد الموالين للحركة نفسيًّا وتهيئتهم لمناصرة الحركة عمليًّا. أما التنظيم فيعني تجميع الإمكانات لدى الأفراد الموالين للحركة والتنسيق بينهم حتى تستطيع الانطلاق لتحقيق المعتقد العام. ومما يدخل في إطار التنظيم التعرف على القوى المناوئة للحركة وإمكانات هذه القوى.

وقد تمثلت التعبئة والتنظيم في حركة الشيخ ابن عبدالوهاب بإرساله الدعاة إلى المدن والقرى والتجمعات البدوية لإقناع الناس بها وكسب تأييدهم المادي والمعنوي لدعوته. كما تمثلت أيضًا بالتحالفات السياسية التي أجراها مع أمير العيينة أولاً، ثم مع ابن سعود لاحقًا. وكان من نتيجة هذه التحالفات زيادة قدرتها التنظيمية وإمكاناتها المادية والبشرية.

٦ ـ الضبط الاجتماعي

وبالإضافة إلى العوامل الخمسة السابقة التي هي من بواعث السلوك الجمعي، يضيف سملزر عاملاً آخر غير أنه مضاد للحركة، بمعنى أنه لا يتعلّق بالحركة الاجتماعية في حد ذاتها، وإنما يتعلّق في مقدرات المجتمع للتصدي للحركات الاجتماعية التي تقوم فيه. هذا العامل هو الضبط الاجتماعي، فهناك من المجتمعات من ليس مقتدرًا على ذلك — كما هي الحال بالنسبة لنجد نتيجة تشرذم السلطة المحلية في المنطقة — وهناك من المجتمعات من تتوافر فيه الإدارة المركزية، إلا أنه يتعامل مع الحركات الاجتماعية بامتصاصها أي جعلها جانبًا من الحوار في المجتمع، وهناك من يتعامل معها بالعنف تارة والتحريم تارة أخرى. ومن هنا فإن الضبط الاجتماعي يعتبر وسيلة يتعامل بها المجتمع ليؤيد أو يرفض سلوكيات اجتماعية معينة. هذا وقد أتاح غياب سلطة مركزية عن نجد[٣١] إلى تسهيل مهمة حركة

---

(٣١) يذكر العثيمين أن بعض مدن نجد كانت تمثل مناطق نفوذ لبني خالد من الأحساء، كما كانت منطقة نجد مهددة من الأشراف في مكة والذين يمثلون الولاية العثمانية؛ انظر: *الشيخ*، ص ص٦٢-٦٩.

الشيخ ابن عبـدالوهاب، وذلك بإتاحة الفرصة لتحالفها مع القوى المحلية، والتي تمثل الضبط الاجتماعي في بعض المدن والقرى.

ويوضح التحليل السابق أن العوامل المحددة للسلوك الجمعي من وجهة نظر سملزر قد توافرت في حركة الشيخ ابن عبدالوهاب بدرجة أدت إلى نجاحها. فقد تساندت عوامل التيسير البنائي والتوتر البنائي وانتشار معتقد عام وحدوث عوامل مسرعة والتعبئة والتنظيم وتعامل الضبط الاجتماعي في إنجاح الحركة. كما أوضح التحليل السابق أن كل عامل أفرز «قيمة مضافة» تضافرت جميعها في شق مسيرة وإنجاح الحركة التي قام بها الشيخ ابن عبدالوهاب.

المستويات المختلفة لمكونات الفعل: أنواع الحركات الاجتماعية

يرى سملزر[٣٠] أن لكل فعل اجتماعي أربع مكونات، هي القيم والمعايير والتعبئة المنظمة وأخيرًا التسهيلات. وتأخذ هذه المكونات شكلاً هرميًّا من حيث الأهمية والشمول. وتحتـل التسهيلات قاعـدة الهرم كما تحتل القيم قمة الهرم مرورًا بالتعبئة المنظمة والمعايير الاجتماعية صعودًا. وهذا يعني أن القيم تحدّد مجال المعايير والتعبئة والتسهيلات الاجتماعية، فهي بذلك أعمّ وأعمق تأثيرًا من المكونات الأخرى. والحال كذلك بالنسبة للمعايير، فهي أشمـل وأعمق تأثيرًا في الفعل من التعبئة المنظمة والتسهيلات، إلا أنها مكملة للمكون الذي أعلى منها في الهرم التسلسلي لمكونات الفعل.

ويمكن أن نقرب فكرة الشمول والعمق لمكونات الفعل الاجتماعي بمثال الزواج كقيمة في المملكة العربية السعودية. فهذه القيمة تتم بعد التشاور بين أسرتي الطرفين وقبول الطرفين في تحقيق هذه القيمة الاجتماعية. وبعد إتمام هذه المرحلة، وامتثال الطرفين لمعايير الخطبة، فإن تعبئة الطرفين تتم، بمعنى أن التنشئة الاجتماعية لكل منهما قد أسهمت في تأهبهما لهذه المرحلة سابقًا، إضافة إلى عمل اللازم حول تنظيم الطرفين آنيًّا لتحقيق الزواج كقيمة. وأخيرًا تأتي التسهيلات والتي تتمثل في الإمكانات المادية للخاطب، وما يمكن أن

(٣٢) Smelser, p. 90.

يقدم كمهر وهدايا. كما تتمثل التسهيلات أيضًا في توافر وتوفير الأماكن الخاصة والعامة لإقامة الزواج. ومن هنا يتضح أن الشرعية القيمية تمهد الطريق أمام مكونات الفعل الأخرى لتقوم بإسهامها في إتمام الفعل الاجتماعي.[٣٣]

ويضيف سملزر أن السلوك الجمعي يهدف إلى تعديل أحد المكونات الأربعة للفعل الاجتماعي. فالحركات الاجتماعية إذن تختلف فيما بينها لارتباطها بأهمية المكون المقصود تغييره عن طريق السلوك الجمعي المعني.

ونتيجة لذلك يميز سملزر أربعة أنواع من الحركات الاجتماعية (جدول رقم ١).

جدول رقم ١. أنواع الحركات الاجتماعية بتصرف.[٣٤]

مكونات الفعل	نوع السلوك الجمعي
القيم	حركات قيمية، مثل: حركة الشيخ ابن عبدالوهاب[٣٥]، حركة المهدي في السودان، البلشفية والنازية.
المعايير	حركة معيارية مثل: الحركة النسائية في الدول الصناعية، وحركة حماية البيئة.
التعبئة المنظمة	حركة تنظيمية، مثل: حركة إضراب في مصنع، أو سجن.

(٣٣) يلاحظ هنا أن ترتيب Smelser لمكونات الفعل الاجتماعي يتمشى مع منظور فيبر Weber وبارسونز Parsons حيث تحتل القيم مكان الصدارة. وهذا يختلف عن المنظور الماركسي والذي يجعل العوامل المهمة كامنة في التسهيلات والوسائل البيئية أو ما يسمى بالبناء التحتي. لمزيد من التوضيح انظر: محمد الدقس، *التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق* (عمّان: دار مجدلاوي ص ص١٣٧-١٧٧.

(٣٤) Smelser, p. 129.

(٣٥) قد يختلف باحث آخر مع هذا الباحث حول تصنيف حركة الشيخ بأنها معيارية بدلاً من كونها حركة قيمية. لقد اعتبر هذا الباحث القيم السائدة من دينية كالاعتقاد ببركة الأشجار أو اجتماعية كاعتبار قطع الطريق رمزًا للشجاعة والرجولة، بمعنى أن ما سعت الحركة لتغييره ليصبح هناك تكاملاً ثقافيًا وهو ما قصدت الحركة تحقيقه بالدرجة الأولى. صحيح أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يأت بقيم من عنده، إنما أراد من إحياء القيم الدينية إزالة قيم سائدة. وقد يكون من المفيد إعادة ذكر تعريف =

جدول رقم ١ . أنواع الحركات الاجتماعية بتصرف .

مكونـات الفعل	نوع السـلوك الجمعي
التسهيلات	نوعان من الحركات ترتبط بالهستيريا : (ا) ما تدعـو للأمـل، مثـل : موضة الملابس، واقتناء الأجهزة، وفتح محطات البنزين، وفتح البقالات (سوبر ماركت) . (ب) ما تدعو إلى الذعر كتخلص فرد من أسهم شركة ما بناء على معلومات غير مطمئنة بالنسبة لواقع الشركة المعنية ومستقبلها

والحركة القيمية هي التي تهدف إلى إزاحة بعض القيم وإعادة تعمير قيم أخرى بديلة لها . وهذا يتطلب تغيير المعايير المتناقضة إضافة إلى تغيير مدخلات التعبئة المنظمة والتسهيلات .

أما الحركات المعيارية، مع أن شأنها أقل من شأن الحركات القيمية — حسب منظور سملزر — فهي تأخذ المعايير الاجتماعية محورًا لها فيما تدعو إليه من تغيير. وكما هي الحال بالنسبة للحركات القيمية، فإن التعبئة المنظمة والتسهيلات تتأثران تباعًا .

وتعبر الانفجارات في السجن مثلاً أو الإضرابات الآنية عن مستوى التعبئة المنظمة، حيث إنها تسعى إلى تعديل بعض الضوابط التنظيمية في مؤسسات المجتمع، ويتبع ذلك ما يلزم من تغيير في الوسائل والتسهيلات .

أما النوع الرابع فهو ما يرتبط بالتسهيلات، ويطلق عليه سملزر الهستيريا، وهي

= سملزر للحركات القيمية بأنها محاولة جمعية لإحياء أو حماية قيم باسم معتقد عام (انظر ص٣) سابقًا . وحول الفرق بين التكامل الثقافي والتكامل المعياري انظر:

W. Landecker, "Types of Integration and Their Measurement," in *Language of Social Research* ed. Lazarsfeld and Roserbery (New York: Free Press, 1955), pp. 19-27.

نوعان: نوع يدعو الإنسان ويحثه على الأمل كنجاح المساهمات في الأراضي والعقارات أو فتح محلات أو استيراد أنواع معينة من السلع على أمل الربح الكبير والسريع. أما النوع الثاني فهو المشوب بالهلع والذعر كقفز قاطني الطابق العاشر من بناية تحترق أو تخلص الفرد من أسهمه في شركات بدأت «سمعتها» تنحدر في السوق التجارية للأسهم.

ولا يعني ذلك أن كل الحركات الاجتماعية التي تنتمي إلى المكون نفسه لها القدر نفسه من الأهمية، ذلك أن لكل مكون من مكونات الفعل الاجتماعي مستويات متفاوتة في الأهمية والاستراتيجية، إذ يتوقف تأثير كل نمط من أنماط السلوك الحركي على مستوى مكون الفعل الذي يسعى السلوك الجمعي بالتأثير عليه. ويمكن تلخيص المستويات المختلفة لمكونات الفعل كما هو مبين في جدول رقم ٢.

جدول رقم ٢. مصفوفة مستويات مكونات الفعل الاجتماعي.[٣٦]

المستوى/ المكون	القيم	المعايير	التعبئة المنظمة	التسهيلات
١ ـ المجتمع	قيم مجتمعية	الامتثال العام	الدافعية المروضة	تصورات عن البيئة
٢ ـ القطاع	شرعية القيم للقطاعات	تحديد معايير للقطاعات	العطاء العام	تقعيد المعرفة
٣ ـ المؤسسة	شرعية المكافآت	تحديد معايير للمؤسسات	القدرة المدربة	التكنولوجيا المناسبة لظرف معين
٤ ـ الفرد	شرعية الالتزام الفردي	تحديد ضوابط للسلوك الفردي	الامتثال إلى عالم الكبار	الحصول على الثروة والصيت للاستشهاد بها
٥ ـ القطاعات المنافسة	شرعية القيم المنافسة	تحديد معايير للقطاعات المنافسة	توجيه الفرد للقطاعات	توجيه التكنولوجيا إلى القطاعات

(٣٦) Ibid., p. 44.

تابع جدول رقم ٢ . مصفوفة مستويات مكونات الفعل الاجتماعي .

المستوى/ المكون	القيم	المعايير	التعبئة المنظمة	التسهيلات
٦ ـ الهدف	شرعية القيم لتحقيق الأهداف	معايير للتعاون والتنسيق	توجيه الفرد للمؤسسات	توجيه التكنولوجيا إلى المؤسسات
٧ ـ الأداء	شرعية القيم للجهد المبذول	برامج لتوجيه النشاط وجداوله	توجيه الفرد إلى أدوار محددة في المؤسسة	استعمال الإمكانيات في المؤسسة لنيل الهدف

ويلاحظ من المصفوفة السابقة أن المستويات ١ـ٣، مستوى المجتمع، مستوى القطاع، مستوى المؤسسة، تمثل الجانب العام لكل من مكونات الفعل، بينما يمثل ٥ـ٧، القطاعات المنافسة، الهدف، والأداء، تمثل الجانب الإجرائي لهذه المكونات. أما المستوى الرابع، الفرد، فإنه يمثل حلقة الوصل بين المستوى العام والمستوى الإجرائي.(٣٧)

وبالنظر إلى حالة مجتمع نجد قبل وإبّان حركة الشيخ ابن عبدالوهاب، يمكن أن نتبيّن شمول الحركة القيمية وتأثيرها على مكونات الفعل وما تحويه هذه المكونات من مستويات. وقد يكون من المفيد إعادة تعريف الحركات القيمية بأنها محاولة لإعادة صياغة أو إحياء قيم معينة، والتي بدورها تصوغ المكونات الأخرى للفعل.

وقد اتصف مجتمع نجد — حاضرته وباديته — بقيم مجتمعية تُؤكد على القبيلة كقيمة في حد ذاتها، بمعنى أن التجمع القبلي يُصبح هدفًا في حد ذاته إضافة إلى ما يحويه هذا التجمع من قيم فرعية ترتبط بالمرعى وبالزواج وبالمساعدة لأفراد القبيلة وغيرها. وهذه القيمة القبلية تعطي الشرعية لأفراد القبيلة ليمارسوا نشاطاتهم ويفتخروا بتضحياتهم لهذه القيم. وهذه يعني أن هذه القيم توجه نوعية السلوك والمعايير التي يتعامل بها أفراد القبيلة.

(٣٧) Ibid., p. 45.

«فتحيير» بنت العم وتفضيل الزواج منها كمعايير للقطاعات والمؤسسات في القبيلة مقبولة وتستند في شرعيتها على ما تستند إليه القبيلة من قيم. كما أن تنشئة الفرد في القبيلة، أي تعبئته اجتماعيًا وثقافيًا، تتم بطريقة تجعله يتوحّد بمفاخر القبيلة وإنجازاتها، ويسعى لتعزيز هذه المفاخر بالعطاء لها من اتصاف بالشهامة والكرم وغيره. وهذا يعني أن «العيب» لا يقف عند الفرد بل يتعداه إلى القبيلة مما يكبح بعض التصرفات الفردية (المنافسة) التي لا تنزوي تحت الامتثال العام للمعايير والقيم. بل على العكس من ذلك نرى أن الامتثال العام يتطلب تعبئة وتنظيم أفراد القبيلة خصوصًا من الشباب — في المشاركة في الغزو والذود عن مراعي وحلال وصيت القبيلة من الأعداء، بمعنى أن الرجولة يكتسبها الفرد نتيجة ما يبذله من تضحيات وإقدام مع الآخرين طوعًا للذود عن القطاعات المختلفة والمهمة للقبيلة. وتمثل ثقة ابن القبيلة بمقدرات القبيلة وثقته بمعارفها جانبًا مهمًا من التسهيلات.[٣٨] وهذا يعني أن الأمثال والحكم المتداولة تؤكد على التمسك بقيم القبيلة ومعاييرها والوفاء لما بذرت فيه من دوافع ومشاعر. وقد ينبري بعض أفراد القبيلة للذود عن القبيلة، وهذا يتطلب معارك تستند إلى معارف (تقنية) قتالية أو معارف ترتبط في إبراز مفاخر القبيلة والذود عنها شعرًا.

أما وبعد قيام حركة الشيخ ابن عبدالوهاب فإن قيمًا دينية أريد لها أن تسمو فوق القيم القبلية أو تلك المرتبطة بمدينة ما. فبينما كانت القيم سابقًا مبنية على الدم في القبيلة نرى أنها أبدلت بقيمة أخرى هي «طاعة الله،» فأصبح شعار الحركة «أنا أخو من أطاع الله» كبديل للانتماء القبلي. وهذا يعني أن مستويات هذه القيمة المتفرعة من هذا الشعار انعكست في المؤسسات والقطاعات الاجتماعية. ولذا فإن مساعدة المظلوم مثلاً يتم في إطار طاعة الله، كما أن الأداء في القتال يكون ضد من قد كانوا إخوة في الدم إلا أنهم لا يعتبرون أخوة على ضوء ما يدعو له شعار الحركة.

(٣٨) يقول المثل «لحمك لحمك، إن حبك وإلا رحمك» والذي يؤكد على الثقة بالأقارب وضمنا الشك في غير الأقارب. إن أقل ما يعمله لك ممن لحمك ودمك في حالة كبوة أو ضعف أن يرحمك ولا يؤذيك، ويمكن ملاحظة تأثير هذا المثل في تعامل كثير من الناس خصوصًا كتبرير الزواج من الأقارب خاصة بنت العم أو الخال.

كذلك فإن الامتثال يتم للقيم الجديدة وذلك بصياغة معايير تواكب القيم المحياة، فالزواج لا تقيده المعايير الاجتماعية بقدر ما تقيده المعايير المنبثقة من القيم الدينية، وكذلك الحال بالنسبة للخصومات إذ تحل على ضوء معايير شرعية (دينية) وليست اجتماعية.

وبالمثل فإن التعبئة المنظمة تشحذ في الأفراد ولاءهم للأخوة الدينية وقد يكون لتسمية مناصري الدعوة «بالإخوان» مؤشرًا لتلاحم جماعات مختلفة تنتمي إلى قبائل وقرى كانت متناحرة.

أما التسهيلات فتتمثل في «أن كل شيء بيد الله» بمعنى أن على المنتمي للحركة العمل تقوده معرفة وتصور أن كل شيء من الله وأن النصر يتم بالإخلاص لله وما تتضمنه هذه المعرفة من تلاحم وتآزر وتضحيات، فمن قضى نحبه في سبيل هذا الهدف فقد مات «في سبيل الله» ويتوقع له الخير الكثير في الدار الآخرة.

من هذه المقارنة الموجزة لما أدخلته حركة الشيخ ابن عبدالوهاب من خلخلة في الفعل الاجتماعي في منطقة نجد، يتضح أن الحركة القيمية غيرت سلوكيات مألوفة وولاءات قديمة. ومن الطبيعي أن لا تكون حركة بهذا الشمول مقبولة من الجميع، خصوصًا أن المتنفذين في المجتمع سوف يفقدون مكانات ومصالح مادية واجتماعية، إذ من المتوقع أن يكون هؤلاء المتنفذين من أكثر الناس محاربة لهذه الحركة. فالخصومات مثلاً لا تحل عن طريق العرف والتي يمثلها «كبار» القبيلة أو المدينة كما كانت في الماضي، بل ترجع إلى «قاضي شرعي» يبت فيها ويحيلها إلى جهاز تنفيذي لإتمام إجراءات القضايا. ويمثل هذا التحول تعرية لمكانات وأدوار اجتماعية كانت بارزة في التجمعات السكانية قبل قيام حركة الشيخ ابن عبدالوهاب. مما سبق نرى أن الحركات القيمية شاملة التأثير، إذ تحدث إرباكًا للفعل الاجتماعي السائد، إلا أنها تلاقي معارضة نتيجة لذلك. بمعنى أن من يرون فيها تهديدًا «لمكاناتهم وجاههم» سوف يدافعون عن مكاسبهم. إلا أنه وعلى الرغم من هذه المعارضة فقد انتشرت قيم حركة الشيخ ابن عبدالوهاب وساعد في ذلك ظروف المجتمع في نجد. ومن هذه الظروف التوتر البنائي والمعتقد العام. وسوف نتحدث عنهما بشيء من التفصيل.

التوتـر البنائـي

لقد أوضحنا سابقًا أن السلوك الجمعي يحدث في مجتمع يسوده عدة عوامل منها التوتر البنائي. والتوتر البنائي يعني أن هناك «خورًا في العلاقة بين مكونات الفعل الاجتماعي: القيم، المعـايير، التعبئـة والتنـظيم وأخـيرًا التسهيلات.» وهذا يعني نقصًا في أداء هذه المكـونـات.(٣٩) والتوتر قد يكون له مصادر مختلفة منها ما هو داخلي ـ داخل التنظيم أو النسق، ومنها ما هو خارجي بمعنى أنه من خارج التنظيم أو النسق الاجتماعي.

ويمكن أن تكون حالة نجد قبل وإبان قيام حركة الشيخ ابن عبدالوهاب خير مؤشر لما نقصده. فالتنظيم السياسي داخل نجد كان شبه مفقود، فالحكومة المركزية غائبة. كما أن قطاعات أخرى في المجتمع يسودها الحذر والخوف والريبة من القيام بأبسط الأعمال كالتجارة والتنقل من مدينة أو قرية إلى أخرى. فقد أصبحت التجارة تنهب وتسلب، وهي في طريقها إلى مدن وتجمعـات السكان، والحال ليست أحسن بالنسبة للسفر من مدينة أو قرية إلى أخرى، لأن سلامة المسافرين وما يملكونه — إن ملكوا شيئًا — مهددة دومًا. هذه العوامل الداخلية والخارجية وغيرها أسهمت في انتشار القيم التي ينادي بها الشيخ ابن عبدالوهاب ومناصروه كبديل للمعاناة التي تتعرض لها القطاعات المختلفة والناس بصفة عامة. فمنطقة نجد، لا شك، كان يسودها التوتر.

والتوتر يمكن أن يرتكز على أي من مكونات الفعل الاجتماعي. وبالنسبة للحركة القيمية، فالتوتر يعبر عن عدم إيمان الفرد والجماعات بالقيم السائدة في المحيط الاجتماعي، وينتـج عن ذلـك أن المكـونات الأخرى للفعل ترتبك ويصيبها التوتر تباعًا. فالتوتر على مستوى المعايير الاجتماعية ينتج عنه عدم تكامل وتناغم بين مكونات الفعل والتي تنعكس في السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات، بمعنى أن بعض المعايير يتم إنجازها على حساب معايير أخرى، فجمع الثروة مثلاً قد يتم عن طريق الغزو أو سلب ممتلكات الآخرين.

---

(٣٩) Ibid., p. 47.

أما عندما يحدث التوتر على مستوى التعبئة، فإنه يتم نتيجة شعور الفرد أو الجماعة بالحرمان، بمعنى أن التوازن يُصبح مفقودًا بين المجهود المصروف والمكافأة للنشاط المبذول. والمكافأة قد تكون مادية أو معنوية. فالتجار والقضاة في عهد الشيخ ابن عبدالوهاب كانوا من الأوائل في دعم حركة الشيخ ابن عبدالوهاب، ويرجع سبب ذلك إلى أن المكاسب التي عملوا لها من توافر للسلع والكسب وتطبيق قيم ومعايير دينية تحبط بسبب الحروب بين القرى والقبائل، إضافة إلى استئثار القيم القبلية، والبيئية على القيم الدينية. فالقاضي، وكما ذكرنا سابقًا، كان يتقاضى بدل أتعابه من طرفي القضية، وهذا يُهدّد «الحياد» المتوقع من القاضي عند خصم الخصومات، كما قد يُهدد العدالة في حل المنازعات بين أطراف أحدها «حالتهم المالية مستورة.» وعلى الوتيرة نفسها نجد الزراع يترددون في الإقدام على الزراعة خوفًا من نهب زراعتهم وتدميرها. ولذا أصبحت دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب بديلاً مشرقًا لمعاناتهم وحرمانهم من تحقيق ما يودون القيام به.

أما عندما يتم التوتر على مستوى التسهيلات فإنه يتمثل في عدم الوضوح بالنسبة لكفاية ونوعية الوسائل المتاحة لتحقيق هدف الفعل أو السلوك الاجتماعي. فالمتخاصمون في قضية قد لا يثقون بمعايير الحكم على قضاياهم، كما أن العاملين في التجارة لا يعلمون هل تصل قوافلهم أم أنها ستنهب في الطريق، هذا يعني أن ثقتهم بالتسهيلات والوسائل الاجتماعية مضطربة ومتوترة. نخلص مما سبق أن التوتر ساد منطقة نجد قبل وإبان حركة الشيخ ابن عبدالوهاب. وقد تمثل هذا التوتر في فساد القيم، وعدم إيمان قطاع عريض من الناس بها. ونتج عن ذلك خلل في معايير التعامل، وحرمان التجار والمزارعين وغيرهم من ثمار مجهوداتهم، مما أضاف إلى ضبابية وسائل نيل أهدافهم. ويمكن تلخيص ما سبق ذكره في جدول رقم ٣.[٤٠]

(٤٠) Ibid., pp. 51-66.

جدول رقم ٣ . التوتر البنائي ومكونات الفعل .

مكونات الفعل	مصدر التوتر
القيم	عدم الإيمان بالقيم وتعريتها والتحريض على عصيانها .
المعايير	عدم التكامل بين مكونات الفعل، بمعنى تحقيق معايير على حساب معايير أخرى .
التعبئة المنظمة	الحرمان من المكافآت (مادية ومعنوية) مقابل الجهد المبذول .
التسهيلات	ضبابية أو عدم وضوح وفعالية الوسائل المرتبطة بمصالح الناس وأهدافهم .

المعتقد العام والحركات الاجتماعية

لقد ذكر آنفًا أن المعتقد العام ضروري لقيام الحركات الاجتماعية . والمعتقد العام هو إعادة تقويم الأوضاع على ضوء الرغبات والتوقعات .(٤١) ومع أن أي سلوك اجتماعي بحاجة إلى معتقد إلا أن المعتقد العام للحركات الاجتماعية يستند إلى خاصية فريدة وهي أنه يؤشر إلى توتر في المجتمع . وقد يكون التوتر متمثلاً في خلل غير معلوم المصدر لتداخل العوامل إلا أن المعتقد العام لا يقف عاجزًا أمامه، إنما يحدد له مصدرًا عامًا مثل وجود «مؤامرات» على المجتمع أو تدخل «قوى خارجية»، تسعى لتهديد النظام . ويجد الناس في مثل هذه التفاسير تحديدًا كافيًا لفهم مصدر التوتر الذي يعيشونه . ونتيجة لذلك يكتسب المعتقد العام قوة وتأثيرًا سحريًا على أفراد المجتمع . وهذا لا يعني أن المعتقد العام يعتبر صحيحًا ليحدث تأثيره . بل أن كثيرًا من المعتقدات العامة قد لا تكون صحيحة إلا أنها تقبل لأن الناس المعرضين للتوتر يجدون فيها تفسيرًا لمعاناتهم .(٤٢) ويمتاز المعتقد العام للحركات الاجتماعية بخاصيتين :

(٤١) Ibid., pp. 80, 350.

(٤٢) Ibid., p. 81. كذلك انظر: عبدالله عبدالرحمن الفيصل، «الواسطة: دراسة استطلاعية لآراء بعض الطلاب الجامعيين،» *مجلة جامعة الملك سعود*، م٢، *الآداب* (٢)، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٧٠٤ .

أولاً : أن تأثيره على الأفراد لا يأخذ التسلسل المنطقي مقارنة بالسلوك اليومي للأفراد، ذلك أن تأثير هذا المعتقد يقفز من المستوى العام لمستويات مكونات الفعل العام إلى المستوى التنفيذي للسلوك (انظر ص٧٤٦). من ذلك مثلاً أنه إذا كان المعتقد العام يؤشر إلى حرمان الأفراد، فإن الفعل الجمعي يتجه إلى الذين يعتقد أنهم ممثلون لهذا الحرمان ومحاولة معاقبتهم بدلاً من تتبع أسباب التوتر ومحاولة معالجتها بطريقة منطقية.

ثانيًا: أما الخاصية الثانية للمعتقد العام فهي خلق ثقافة عامة للمنتمين للحركة، ويبرز من بين جملة ما تتطلبه الثقافة الجديدة القيادة التي تعمل على تعبئة الجهود وتنظيمها للقيام بالسلوك الجمعي. ويمكن النظر إلى المعتقد العام للحركة القيمية بأنه الجهد المنظم لبناء ثقافة جديدة، وهذا يتطلب نظرة جديدة لعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون.[٤٣] ويمكن تلخيص ما سبق بجدول رقم ٤.

نستخلص مما سبق أن المعتقد العام يُحدّد ما تفتقد إليه مكونات الفعل الاجتماعي، والذي يعني تغيير ما تقوم عليه هذه المكونات وإبدالها بمقومات ترى الحركة أنها ضرورية. ومن هذا نرى أن الحركات القيمية تمتاز بالشمول والجذرية فيما تسعى إليه؛ لا غرابة إذن أن تتصنف الحركات القيمية بالعنف[٤٤] لتصل إلى ما تريد تحقيقه مصحوبة بعنف مضاد من المناهضين وأصحاب المصالح القائمة. جدول رقم ٥ يلخص ما ذكر سابقًا بشكل عام.

---

(٤٣) Smelser, pp. 62, 82, 356.

(٤٤) Ibid., p. 319.

جدول رقم ٤ . القيم المضافة لإيجاد المعتقد العام نتيجة للتوتر[٤٥] في نجد .

جانبا القيم		جانبا المعايير		جانبا التعبئة المنظمة		جانبا التسهيلات	
السلبي	البديل	السلبي	البديل	السلبي	البديل	السلبي	البديل
اعتقاد بنفسخ القيم*	اعتقاد بإمكانية إحياء	معتقد عام بفشل	معتقد بإمكانية صيانة	معتقد بأن هناك قوى	معتقد بأن شحن	التخوف والقلق	معتقد بقوة وفائدة
==	القيم	الحياة الاجتماعية	الحياة الاجتماعية	شريرة مسؤولة عن	الأفراد وتنظيمهم	==	القيم المحياة: المستقبل
==	==	المعاملات	وصياغتها	القلق والفساد	لتغيير القيم والمعايير	==	ليس مخيفًا، اما النصر
==	==	==	==	==	الفاسدة يزيل قوى الشر،	==	وإما الشهادة
==	==	==	==	==	الحاجة إلى قيادة	==	==
==	==	==	==	==	==	==	==
الشرك: التبرك بالقبور**	==	دفع بدل أتعاب القاضي	==	==	==	الحيرة وضبابية سبل	==
وبالقباب والأشجار	إفراد الله بالعبادة	من المتخاصمين	ضرورة وجود تنظيم	تحديد ممثلين للشر:	==	العيش	تضخيم الإمكانات
	تغيير القيم السائدة	تردي التجارة والزراعة	سياسي لصيانة	القباب، الأضرحة	هدم القباب		المتوافرة لإزاحة الشر:
	«الشرك» بقيم التوحيد	نتيجة الخوف على	التشريعات ودفع	والأشجار، إباحة الفساد	قطع الأشجار		ينصر الله المجاهدين
		النفس والمال	ما يتبع ذلك من		ورجم الزانية		وتتوافر سبل العيش
			تكاليف، والأخذ على		قيادة ابن عبدالوهاب		
			يد من يروع الناس في		وابن سعود		
			أنفسهم أو ممتلكاتهم				

* مستوى عام للمعتقد العام . ** مستوى إجرائي للمعتقد العام .

(٤٥) Ibid., p. 124

جدول رقم ٥ . المعتقد العام يدعو إلى :

مكونات الفعل	المعتقد العام
القيم	إعادة صياغة نسق القيم
المعايير	إعادة صياغة البناء المعياري (المعاملات)
التعبئة	شحن وتجنيد الأفراد لإزاحة أفراد أو أشياء تمثل تهديدًا
التسهيلات	الاعتقاد بالأمل (النصر أو الموت في سبيل الله) في إزالة «الشر أو القوة الغامضة» التي تهدد المجتمع

Smelser's Perspective on the Components of Value-Oriented Movements with Explanations from Ibn Abdul-Wahhab's Movement

Abdulla A. Faisal
Associate Professor, Department of Sociology, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The purpose of this paper is to present Smelser's perspective on value oriented social movements. Three justifications have been mentioned: (a) The Muslim world is rife with different social and religious movements; (b) Smelser's perspective provides sociological explanations for such phenomenon; (c) Smelser's orientation is value neutral.

Smelser indicated four components of social action with values being the most important component. Paralleling the components of social action, Smelser indicated four types of collective behavior such that a value oriented movement is an expression of instability in the value component of social action. He defined a value oriented movement as an attempt to restore, protect or create values in the name of a generalized belief.

Furthermore, this paper showed the different levels of values. This means there are different value oriented movements that vary in impact depending on which level of a value is addressed. The six determinants of collective behavior are shown and explained. These determinants are: structural conduciveness, structural strain, growth and spread of a generalized belief, precipitating factors, mobilization for action and operation of social control.

Ibn Abdul-Wahhab's movement was often referred to in this paper to show the utility of Smelser's perspective in studying indigenous movements and counter movements in the Arab World.